

التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح: تمثيلات الاغتراب وأزمة الهوية

Heritage and Modernity in the Poetry of Abdulaziz Al-Maqalih: Representations of Alienation and the Crisis of Identity

معتز قصي ياسين الشاوي

جمهورية العراق

تاريخ النشر: مارس 2026	تاريخ القبول: 2026/03/08	تاريخ الإرسال: 2026/02/20
------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تعالج هذه الدراسة جدلية التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح من خلال تحليل الآليات البنيوية التي يتأسس عليها هذا التفاعل داخل النص الشعري، ولا سيما في أبعاده التاريخية والأدبية والدينية. وتنطلق الدراسة من فرضية مؤداها أن حضور التراث في التجربة الشعرية للمقالح يتشكل عبر بناء تاريخي يعيد استحضار الذاكرة الحضارية ضمن بنية دلالية موحدة، الأمر الذي يجعل التراث عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى. ويكشف التحليل أن التفاعل بين المرجعيات التراثية وتحولات الواقع المعاصر يسهم في تشكيل تمثيلات الاغتراب، حيث تتبدى أزمة الهوية نتيجةً للتوتر الناشئ بين الذاكرة الجمعية ومتغيرات الحاضر. وعلى هذا الأساس، لا يظهر التراث والمعاصرة في شعر المقالح بوصفهما حدّين متقابلين، وإنما علاقة جدلية تسهم في تشكيل رؤية شعرية يُعاد من خلالها بناء سؤال الهوية في الوقت الحاضر. الكلمات المفتاحية: التراث، المعاصرة، الاغتراب، الهوية.

Abstract:

This study examines the dialectic of heritage and modernity in the poetry of Abdulaziz Al-Maqalih through an analysis of the structural mechanisms that govern their interaction within the poetic text, particularly across its historical, literary, and religious dimensions. The study proceeds from the premise that the presence of heritage in al-Maqalih's poetic experience is constituted through a historical configuration that reactivates civilizational memory within a unified semantic framework, thereby transforming heritage into an operative agent in the production of meaning rather than a mere referential backdrop. The analysis demonstrates that the dynamic interplay between inherited cultural references and the shifting conditions of contemporary reality contributes to the articulation of representations of alienation. Within this framework, the crisis of identity emerges as the outcome of a sustained tension between collective memory and the contingencies of the present. Accordingly, heritage and modernity in al-Maqalih's poetry do not function as binary oppositions; rather, they form a dialectical relation that shapes a distinct poetic vision through which the question of identity is critically reconstructed in the contemporary moment.

Keywords: heritage, modernity, alienation, identity.

المؤلف المرسل: معتز قصي ياسين الشاوي mutazalshau@gmail.com

مقدمة: تُعدُّ إشكالية التراث والمعاصرة من المحاور المركزية في النقد الأدبي العربي الحديث، لما تنطوي عليه من أبعاد فكرية وجمالية تتصل بطبيعة العلاقة بين الذاكرة الثقافية وتحولات الواقع. وقد أفرزت هذه الإشكالية مسارات متعددة في التجربة الشعرية المعاصرة، اتخذت من التراث منطلقاً لإعادة بناء الرؤية، ومن معطيات الحاضر مجالاً لإعادة مساءلة المفاهيم والقيم والأنساق. وفي هذا السياق تبرز تجربة عبد العزيز المقالح بوصفها تجربةً شعريةً تتأسس على وعيٍ جدليٍّ بطبيعة هذه العلاقة؛ إذ يتداخل في نصوصه الامتدادُ التراثي مع الحسن المعاصر ضمن بناءٍ دلاليٍّ يقوم على توترٍ مستمرٍّ بين الانتماء والاغتراب.

وتسعى الدراسة إلى الكشف عن آليات توظيف التراث في شعر المقالح، وسبر أغوار تفاعله مع الخطاب الشعري المعاصر. ويتناول البحث جملةً من القضايا المحورية، منها مظاهر استدعاء التراث في قصائده عبر مستويات ثلاثة: التاريخي، والأدبي، والديني، بوصفها مداخل دلالية لتشكيل وعيٍ معاصرٍ متجذرٍ في الذاكرة الجمعية. كما يتناول كيفية تحوُّل هذه المرتكزات إلى طاقة تعبيرية تسهم في بناء نصٍّ متعدد الطبقات، يتكامل فيه التجريب مع الإحالة، ويندمج فيه التأسيس مع التحول.

ومن هنا تتحدد أهمية هذه الدراسة في سعيها إلى مقارنة جدلية التراث والمعاصرة في شعر المقالح مقارنةً تحليليةً تستكشف الأسس البنائية التي تقوم عليها، وتكشف أثرها في تمثيل الاغتراب وأزمة الهوية داخل النص. ويعتمد البحث قراءةً وصفيةً تحليليةً تنقّص البنية الدلالية والرمزية للنصوص المختارة، بهدف بيان كيفية انتظام المرجعيات التراثية في سياقها المعاصر، والكشف عن طبيعة الرؤية الشعرية التي تتشكل في ضوء هذا التفاعل. وبذلك تسهم الدراسة في تعميق فهم التجربة الشعرية لعبد العزيز المقالح، وإبراز موقعها ضمن مسار الشعر العربي الحديث بوصفها تجربةً تعيد صياغة سؤال الهوية في سياقٍ ثقافيٍّ متغيّر.

1: مشكلة البحث

يتحدد موضوعُ البحث بدراسة جدلية التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح، والكشف عن أثرها في تشكُّل تمثيلات الاغتراب وأزمة الهوية داخل البنية الشعرية. وتنبثق مشكلةُ البحث من ملاحظة حضور التفاعل بين المرجعية التراثية والتحولات المعاصرة بوصفه إطاراً ناظماً للتجربة الشعرية، الأمر الذي يثير تساؤلاً حول طبيعة العلاقة بين هذا التفاعل وتمظهر الإحساس بالاغتراب وتبلور أزمة الهوية في النص. ومن ثم يسعى البحث إلى تحديد الآليات الفنية والدلالية المنتجة لهذا التداخل، وبيان موقع الاغتراب وأزمة الهوية ضمن النسق الشعري العام.

2: هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل جدلية التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح، من خلال بيان ملامح حضورها في البنية الشعرية، والكشف عن تمثيلات الاغتراب وأزمة الهوية بوصفهما نتيجتين دلالتين لهذا التفاعل، مع تحديد طبيعة العلاقة بين المرجعية التراثية وتحولات الواقع المعاصر، وبيان أثر ذلك في تشكيل الرؤية الشعرية.

3: مفهوم التراث والمعاصرة في الأدب

مفهوم التراث والمعاصرة في الأدب يشكل جدلاً عميقاً ومركباً يتناول جوهر العلاقة بين الإرث الأدبي القديم والابتكار الإبداعي المعاصر. ويعبر في الوقت نفسه عن جدلية مستمرة بين الذاكرة الجمعية والنصية من جهة، والتحولات الثقافية

والفكرية التي تفرضها اللحظة التاريخية من جهة أخرى. وهذه العلاقة ليست مجرد مقابلة بين زمنين أو اتجاهين، بل هي نوع من التفاعل الجدلي العميق الذي يسهم في إثراء التجربة الأدبية، حيث يشكل كل من التراث والمعاصرة قطبين ضروريين لاستمرار الإبداع وتحقيق التوازن بين الثابت والمتغير وتجسيده على مستوى التجربة الفنية وتشكيل الخطاب.

فالتراث، لا يقتصر على النصوص القديمة أو الأنماط الفنية التقليدية، بل يشمل منظومة القيم والمعاني والجماليات التي تراكمت ثقافياً على مدى العصور. وفي السياق الأدبي، يُعدّ التراث رصيماً معرفياً ورمزياً يغذي المخيلة ويمنح النصوص عمقاً تاريخياً وهوياتياً. غير أن التعامل مع التراث لا ينبغي تجاوزه. وهذا ما عبّر عنه المفكر محمد عابد الجابري في مدخل كتابه نقدياً يميز بين ما يمكن استثماره إبداعياً وما ينبغي تجاوزه. ونحن والتراث، إذ يشير إلى أن التراث ليس ما نرثه فحسب، بل ما نُحسن استخدامه في معركة الحاضر. (1) وانطلاقاً من هذا التصوّر، تُعدّ النصوص التراثية بُنىً دلالية قابلة للتأويل وإعادة الإنتاج، بما يتيح للخطاب المعاصر إعادة توظيفها ضمن سياقات مغايرة تُكسبها فاعليةً جديدة. وعليه، فإن استدعاء التراث في الأدب الحديث لا يُفهم بوصفه ارتداداً إلى الماضي أو تمسّكاً به، بل بوصفه إجراءً تفاعلياً يستهدف تحقيق استمرارية ثقافية متجددة داخل البنية الإبداعية الراهنة.

أما المعاصرة، فهي ظاهرة نقدية جمالية تهدف إلى إعادة تشكيل الأنماط الأدبية والفنية بصورة تعكس التغيرات العميقة في بنية الفكر والذائقة الجمالية في الزمن الحاضر. وهي في الوقت نفسه لا تُقصي التراث أو تُلغيه، بل تدخل معه في حوار يعيد تشكيله بطريقة تضمن بقاء النص حياً ومتفاعلاً مع متغيرات العصر. وفي هذا الصدد يرى الناقد والشاعر محمد بنيس، أنّ الشعر العربي المعاصر يحتاج إلى حوار نقدي مع التراث دون الوقوع في فخ التقليد، وأنّ المعاصرة تتطلب فهماً عميقاً للتراث بهدف تجاوزه وليس الاستغراق فيه.. (2)

ومن أبرز الأصوات النقدية التي أسهمت في بلورة هذا التصور الحدائي للتعامل مع التراث، يبرز الناقد زكي نجيب محمود تتجلى نظريته إلى التراث بوصفه مصدراً حياً يحمل أدوات فكرية قابلة للاستثمار في معالجة قضايا الحاضر، يقول " لكنني جعلت غايتي شيئاً آخر أظنه من حقي إذا أردته، وهو البحث في تراثنا الفكري عما يجوز لعصرنا الحاضر أن يعيده إلى الحياة، ليكون بين مقومات عيشه ومكونات وجهة نظره، وبهذا يرتبط الحاضر بذلك الجزء من الماضي الذي يصلح للدخول في النسيج الحي لعصرنا الذين يحتويه، راضين به أو مرغمين" (3)

وفي اتجاه موازٍ، يقدّم جابر عصفور رؤية نقدية تأسيسية في التعامل مع التراث، تقوم على رفض فكرة الحياد أو البراءة في القراءة، وتقرّ بأن كل تفاعل مع الماضي ينطلق من موقع فكري وموقف إيديولوجي، يقول في هذا السياق: " منذ سنوات طويلة وأنا منشغل بعملية قراءة التراث النقدي، بوصفها عملية ملحة لها أهميتها في ذاتها، وبوصفها عملية صغرى مرتبطة بعملية كبرى في قراءة التراث بوجه عام. وبقدر ما كنت أدرك أن الإلحاح على قراءة التراث هو الوجه الآخر من الإلحاح على قراءة الواقع أو الحاضر، فقد كنت ازداد اقتناعاً أنه لا توجد قراءة بريئة أو محايدة للتراث، ذلك لأننا عندما نقرأ التراث ننطلق من مواقف فكرية محددة، لا سبيل إلى تجاهلها، ونفتش في التراث عن عناصر للقيمة الموجبة أو السالبة. بالمعنى الذي يتحدد إطاره المرجعي بالمواقف الفكرية التي ننطلق منها" (4)

أما الناقد كمال أبو ديب فيرى أن التراث بنية رمزية متشابكة تعبر عن طبقات متراكمة من المعاني والتجارب الإنسانية التي تَجَمَّعت عبر القرون. وهو ليس مجرد محفوظات ثابتة أو نصوص موروثية، بل هو كيان حي ينبض بالتفاعل المستمر مع الزمن والمتلقي. النص التراثي يحمل في داخله نظاماً دلاليًا معقدًا، يُعاد تأويله وإحيائه عبر تداخل الأجيال والقراءات الجديدة. فكل قراءة جديدة لنص تراثي لا تقوم بإعادة إنتاجه فحسب، بل تتحدى حدوده وتعيد تشكيله في ضوء الظروف الفكرية والثقافية المعاصرة. وفي هذا السياق يؤكد كمال أبو ديب على أنَّ الشاعر المعاصر يجب أن يتعامل مع التراث بوصفه "نصًا مفتوحًا" يمكن تأويله باستمرار (5)

يتَّضح من القراءات النقدية السابقة أن التفاعل مع التراث عملية معقدة تتطلب جهداً إبداعياً ونقدياً متواصلًا، يقوم على إعادة صياغة التمثيلات التراثية بما يتوافق مع متطلبات الحاضر، مع الحفاظ على أصالتها، وتوظيفها كمنطلق لتوليد تجارب نصية جديدة ومغايرة، سواء على مستوى اللغة، أو البناء الفني، أو الرؤية الشعرية، حيث يتحول النص إلى فضاء مفتوح للتجريب والتجديد، يعكس قدرة الأدب العربي المعاصر على المزج بين الأصالة والحداثة، ويتيح للشاعر مقارنة القضايا الإنسانية والاجتماعية والفكرية من منظور معاصر يثري الحس النقدي ويعزز التجربة الجمالية.

4: التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح

تُعد جدلية التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح من الركائز البنيوية التي تشكّل آلية إنتاج المعنى وتحدد ملامح الخطاب الشعري لديه. فالقصيدة عنده لا تنغلق في زمن بعينه، بل تنسج بنيتها على تداخل مستويات زمنية وثقافية متباينة، حيث يتقاطع الموروث التاريخي والديني والأدبي مع التجربة الفردية في الحاضر. وهذا التداخل ليس عملية تجميع لعناصر متفرقة، وإنما بناء واعٍ لعلاقة جدلية تمنح النص بعده التركيبي والدلالي في آن واحد.

يتعامل المقالح مع التراث بوصفه رصيداً ثقافياً مفتوحاً على إعادة القراءة والتأويل، بعيداً عن الجمود الذي يحد من إمكانية استثماره في الفكر والإبداع. ومن هنا تنبثق المعاصرة لديه كفعل إعادة صياغة للماضي، يتم فيه إدماج الرموز والشخصيات والأحداث التاريخية داخل شبكة من العلاقات النصية التي تتجاوب مع قضايا الواقع وتوتراته. وبذلك تتحقق للقصيدة بنية حوارية تنفتح على تعدد الأصوات وتداخل الخطابات، بما يتيح انتقال المعنى من سياقاته الأصلية إلى مستويات تفاعلية جديدة يتسم بالحيوية والدينامية. وتتجلى آليات هذا التفاعل في ثلاث مستويات موضوعية رئيسية، شكّلت معاً بنية اشتغال التراث في شعره المعاصر: أولها، استحضار البعد التاريخي، حيث يعيد المقالح قراءة الوقائع والشخصيات ضمن منظور نقدي معاصر؛ وثانيها، التفاعل مع التراث الأدبي بوصفه حقلاً للمعاصرة والتأويل والإنتاج الرمزي؛ وثالثها، توظيف الرموز الدينية بما يحولها إلى أدوات تأمل وجودي ومساءلة لقيم المجتمع ومآلاته.

4،1: المستوى الأول: البعد التاريخي

يعتمد عبد العزيز المقالح في شعره على استحضار الشخصيات التاريخية من التراث العربي والإسلامي، بوصفها رموزاً شعرية تتجاوز حدود زمنها الغابر لتصبح أدوات تعبيرية ونقدية غنية بالمعاني، قادرة على التفاعل مع قضايا الحاضر وتعقيداته الفكرية والاجتماعية والسياسية، حيث تغدو الشخصية أداة إجرائية لبناء خطاب شعري يزواج بين المرجعية التراثية وأفق المعاصرة، ضمن صياغة تنكئ على الرمز وتُحيل إلى تحولات الوعي الجمعي، بما يفتح أمام النص

مجاًلاً واسعاً من التداعيات الدلالية والرمزية. ومن بين الشخصيات التاريخية المهمة لدى المقال هي شخصية القائد اليميني سيف بن ذي يزن حيث وجد الشاعر في شخصيته رمزاً للثائر الذي يعبر عن معاناته وآلامه. سيف بن ذي يزن، الذي ناضل من أجل تحرير اليمن من الاحتلال الحبشي بعد أن تأمر الروم مع الأحباش للسيطرة على البلاد، أصبح في شعر المقال رمزاً للثائر العربي المؤمن بقضيته، المخلص في نضاله من أجل الحرية والاستقلال.

القصة التاريخية لسيف بن ذي يزن، الذي لم يجد في البداية الدعم الكافي من القبائل العربية واضطر للاستعانة بالفرس، هي في جوهرها قصة اغتراب ومعاناة. عندما وصل إلى كسرى، فوجئ بأن الأخير يعرض عليه المال، لكن سيف بن ذي يزن رد قائلاً: "قال وما أصنع بالذي أعطاني الملك ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة يرغب فيها لما رأى من زهادته فيها إنما جئت الملك ليمنعني من الظلم ويدفع عني الذل" (6) هنا، يعبر المقال عن عمق الاغتراب الذي عاشه سيف، ليس فقط كقائد يحاول تحرير بلاده، بل كرمز لكل من يضحي بنفسه ويعاني في سبيل قضية أكبر. إحدى هذه القصائد تعبر عن هذا التماهي بين الشاعر والقائد، حيث يصبح سيف بن ذي يزن قناعاً ووجهاً من تجليات المعاصرة.

شهور تمر بأعقاب أخرى

ونحن بأبواب كسرى

نقرب للنار أشعارنا والشجون

فلا النار تشبع منها

ولا "الشاه يفتح باب السجون

يقولون يوماً سيرسل بعض العصاة

وبعض الحفاة

ليدفنهم في أعالي اليمن

فبيكي الخليج

وألح أطلال عمدان غارقة في النشيج

فلست لهذا تغربت

لست لهذا تركت الديار

ديار السيوف التي شربت من عيون الزمن

وما جئت مستجدياً للرجال

ولكنني جئت أطلب من صاحب التاج

باسم اليمن

وباسم كراهننا للدخيل

بأن يتحدى الزمن ويمنح أبطال "جيرتنا"

أذنه بالرحيل لتحمي أسيافهم فجرتنا في "عدن"

تراب بلادي ذهب وحصباؤها

دررولائي ومن صخرها كان عزم العرب

ووهج الزمان وسحر الليالي (7)

يقوم النص على رؤية شعرية تتأسس على توتر مركزي بين الاغتراب والانتماء، ويتحقق هذا التوتر عبر تداخل مستويين: مستوى التجربة الذاتية المنفية، ومستوى القناع التاريخي الذي يضطلع بوظيفة رمزية تتجاوز الاستدعاء المرجعي. إذ تتجلى الفكرة المحورية في جدلية السلطة والهوية؛ إذ تُبنى القصيدة على مفارقة دلالية قوامها أن التحرر يُطلب من داخل البنية التي تنتج القمع. هذا التشكيل يولّد توترًا دراميًا واضحًا، لأن الذات تتوجه بندائها إلى "صاحب التاج" في الوقت الذي تعي فيه محدودية الاستجابة. وهنا يتحول النداء إلى تقنية بلاغية تكشف مأزق الخطاب.

أما القناع التاريخي فيعمل بوصفه تقنية لإعادة توزيع الصوت الشعري؛ إذ تتماهى الذات مع شخصية بطولية من التراث، فتنتقل التجربة من إطارها الفردي إلى همّ جمعي. غير أنّ هذا التماهي لا يفضي إلى تمجيد الماضي، بل إلى استثماره بوصفه طاقة رمزية لمساءلة الحاضر. وبذلك يتحقق بعدّ تأويلي مزدوج: الماضي يُستحضر لتفكيك الراهن، والراهن يتجسد شعورياً في صور مركّبة تمس بنية الوجود الإنساني في زمن متشظّ، يتكرر فيه الألم كما في مطلع القصيدة: "شهور تمر بأعقاب أخرى"، حيث يبدو الزمن كدوامة مغلقة، تقذف الذات في دائرة من الانتظار العقيم والانفصال عن الواقع المرغوب. هذا التصور للزمن يعمّق من اغتراب الذات، التي لم تعد تملك السيطرة على مصيرها، بل تتلقى صدمات التاريخ والسياسة كقدر لا مفر منه. وفي هذا السياق، تبرز "أبواب كسرى" كبنية سلطوية ما زالت تمارس قمعها الرمزي في الحاضر، فتزيد من عزلة الذات وتغريها.

هنا تندمج شخصية سيف بن ذي يزن، فهو يستنهض الماضي كقوة كامنة في الذاكرة الجمعية، لمواجهة الواقع المير حيث تنغلقي فيه السجون وتُكسر فيه الإرادات، كما يشير إلى ذلك قوله: "والشاه يفتح باب السجون". فالاغتراب السياسي يبلغ ذروته حين تصبح الحرية نفسها موضوع تفاوض، كما في مناشدة "صاحب التاج" لمنح "أبطال جيرتنا" إذن الرحيل. وهذا الموقف يكشف مفارقة شديدة: التوق إلى التحرر مشروطٌ بسلطة قد لا تسمح به، مما يُدخل الذات في مأزق وجودي تتقاطع فيه الرغبة بالخلاص مع إدراك استحالة الفكّك من البنى التي تنتج القمع.

وتزداد حدة التوتر عندما يُطرح "العصاة" و"الحفاة" كأطراف قادرة على إحداث التحوّل. هؤلاء المهمشون الذين لا تلتفت إليهم السلطة هم حَمَلَةُ الأمل الضمني في النص، لأنهم يمثلون الوجه الآخر للمقاومة الصامتة، التي تنبع من الهامش وتطمح لقلب المركز. وهنا يلتقي البعد الاجتماعي بالشعوري: فالمهمّش، المغترب، هو في الوقت نفسه حامل لبذرة التغيير. أما الأرض فهي كيان وجودي وشعوري ينبض بالتاريخ والهوية: "تراب بلادي ذهب، وحصباؤها درر ولّائي"، وهو ما يجعل الاغتراب عنها معادلاً لاغتراب الذات عن امتدادها التاريخي والثقافي، وبذلك تتكامل دلالة الهامش مع دلالة الأرض في تشكيل تصور مركّب للاغتراب في بعده الاجتماعي والوجودي.

وعبر هذا التداخل المعقد بين القناع التاريخي وتجربة الاغتراب، تتحول القصيدة إلى خطاب مزدوج البنية: فهي في ظاهرها نداء موجه إلى سلطة، وفي عمقها احتجاج على بنية وجودية كاملة تتقاطع فيها الاستلابات المختلفة: الزمنية،

والسياسية، والاجتماعية، والنفسية. وهذا ما يجعل النص شهادة على وعي الذات المغتربة، بوصفها كيانًا يقاوم، ويعيد إنتاج معناه داخل منظومة قمعية. وهنا تتجلى المعاصرة في أبهى صورها: ليس بإقصاء التراث أو تجاوزه، بل بتحويله إلى أداة فنية وفكرية قادرة على مساءلة الحاضر، وصياغة خطاب نقدي يتجاوز الشعر ليحاور جوهر الوجود. المقال يدرك أن اليمن في عصره يحتاج إلى قائد مثل سيف بن ذي يزن، شخص يتمتع بالشجاعة والتفاني من أجل تحقيق الحرية. لذلك، أصدر ديوانًا شعريًا يستلهم فيه سيرة ونضال هذا القائد، متخذًا منه نموذجًا يعبر من خلاله عن معاناة اليمن الحديث. وفي إحدى قصائده، يخاطب المقال سيف بن ذي يزن مباشرة، ثم يتقمص شخصيته في محاولة لنقل الألم والمعاناة التي يعيشها الشعب اليمني:

تعال ،

تعال ،

وحدك لا تخف ندلا

فإن الشعب، شعبك لم يعد طفلا

شب الصغار

وصار كل مقمط كهلا

ومات الفيل

وانتصرت أبا بيل

وأبرهة يناور وهو مأكول

تعال،

تعال

قد ناداك أيلول (8)

في هذه الأبيات، يستدعي عبد العزيز المقال شخصية سيف بن ذي يزن بوصفه البطل الأسطوري، ليمارس عبرها نقدًا مريبًا للواقع، ومساءلة للرمز التاريخي في ضوء إخفاقات الحاضر. فالسيف الذي كان في وعي الأمة رمزًا للتحريض والانتصار، يُستحضر الآن في لحظة مأزومة، حيث تفتقد البلاد معنى النصر، وتستشعر الخذلان المتكرر. فمناداته بـ"تعال" يتردد في صدر الأبيات كأن الصوت الشعري يحاول أن يرسخ حضوره قبل أن يرسخ دعوته. التكرار يخلق مساحة انتظار بين النداء والاستجابة، مساحة يتكوّن فيها المعنى تدريجيًا. النداء يبدو أقرب إلى استحضار طاقة كامنة منه إلى مخاطبة شخص محدد؛ كأن القصيدة تستدعي لحظة وعي تأخرت طويلاً. في هذه المسافة يتشكل الإلحاح، ويتحول الصوت إلى حركة داخلية في الوعي الجمعي.

عبارة "وحدك لا تخف ندلاً" تشير إلى أن الندالة لم تعد شيئاً خفياً أو استثنائياً، بل صارت سمة مألوفة من سمات الواقع السياسي والاجتماعي، ما يفرض على الرمز القدوم دون حاشية، دون زيف أو مواربة. وتأكيد الشاعر على أن الشعب "لم يعد طفلاً" يعكس حالة من النضج الجمعي، حيث لم تعد الأمة مستعدة للخضوع أو التبعية أو الاتكال على

بطل فرد. لقد بلغ النضج مبلغًا يجعل كل قماط رمزًا لوعي متمرد، حتى الرضيع في حضانة الوطن صار كهلاً يحمل ذاكرة القهر وإرادة الكفاح.

وتأتي صورة "مات الفيل وانتصرت أباييل" لتعيد توظيف قصة دينية شهيرة في سياق معاصر، حيث تتحول الأباييل إلى رمز للشعب الهامشي الذي ينتصر رغم ضعفه، بينما تنهار القوة الطاغية من الداخل. إن الشاعر يسحب من هذه القصة لحظة النصر المستحيل، إشارة إلى قابلية القوة الهشة للسقوط عندما تفقد مشروعيتها. وحين يقول: "وأبرهة يُناور وهو مأكول"، فإنه يرسم مشهدًا بالغ السخرية، حيث لا يُنكر الطاغية هزيمته حتى وهو يتأكل، مما يكشف عن عمق الزيف في المشهد السياسي، ويؤكد أن الانهيار قد يبدأ قبل السقوط الظاهري بوقت طويل. أما "أيلول" في النداء الأخير، فيحمل دلالات متعددة. قد يشير إلى ثورة سبتمبر اليمنية، حيث تحضر لحظة التغيير الشعبي في الذاكرة، وقد يرمز إلى الخريف بما فيه من تبدل ومفارقة، أو حتى إلى أيلول العربي بوصفه زمنًا للتحويل الصعب. بهذا المعنى، يصبح أيلول ذاته رمزًا مزدوجًا بين الأمل والانكسار، بين البذرة واليباس.

القصيدة في جوهرها تشكل لحظة شعرية يتقاطع فيها السؤال السياسي بالسؤال الوجودي، والرمز بالتاريخ، والأمل بالمرارة، لتنتج نصًا متوترًا، ناقداً، ومفتوحاً على إعادة تعريف البطولة والشعب والوطن معاً. فالشاعر يتعامل مع الرمز من موقع الند، ويجرده من هالته ليمنحه فاعلية جديدة، محكومة بشروط الواقع، ومفتوحة على أفق المقاومة وإحداث التغيير الشامل. وفي ديوانه "كتاب صنعاء"، يستحضر المقالغ نموذجاً آخرًا من تاريخ العاصمة اليمنية وحضارتها:

صنعاء...

كانت امرأة هبطت في ثياب الندى

ثم صارت مدينة

هي عاصمة الروح

أبوابها سبعة

والفراديس أبوابها سبعة

كل باب يحقق أمنية للغريب (9)

في هذا المقطع، يُعيد الشاعر إنتاج مدينة صنعاء بوصفها مركزاً رمزياً تتقاطع فيه الذاكرة الجمعية مع التجربة الفردية، ضمن جدلية دقيقة بين التراث والمعاصرة. يقول: "صنعاء... كانت امرأة هبطت في ثياب الندى/ ثم صارت مدينة." هذه الصيغة تُفعّل عنصراً تراثياً متجذراً في المخيال العربي: الربط بين الأنوثة والأرض، بين البداية الطاهرة والتكوين الحضاري. فالأنثى هنا استعارة جمالية لبنية حضارية متكاملة: "ثياب الندى" تحيل إلى الطهارة الأولى، والضرورة إلى "مدينة" تمثل ولادة الكيان السياسي والاجتماعي، وهي عملية ترمز إلى انتقال الذات من الفطرة إلى التاريخ، ومن النقاء الفردي إلى تشكّل الجماعة.

قوله: "هي عاصمة الروح" يمنح المكان بعداً ما ورائياً يتجاوز الجغرافيا. فصنعاء، هنا، كيان يتداخل فيه البعد الصوفي مع الوطني، لتصبح المدينة ذات وظيفة مزدوجة: خزاناً للهوية ومجالاً لإنتاج المعنى. هذا التوصيف يستدعي في الخلفية مفهوم "المدينة النموذجية" في الفكر الإسلامي الكلاسيكي (كما عند الفارابي)، فيغدو الخطاب الشعري مجالاً

لإعادة الاعتبار للمدينة بوصفها مركزاً للهوية ومجالاً لمساءلة الاغتراب المعاصر، ضمن بنية تجمع بين الوعي التراثي وإمكانات التعبير الحديث.

أما "أبوابها سبعة / والفراديس أبوابها سبعة"، فهو اشتغال شعري على الرمز العددي الديني، تحديداً الرقم (7)، الذي يحضر في البنية القرآنية والروحية بوصفه عدداً يرمز إلى الكمال، والاكتمال، والدرجات العليا من المعنى. المقارنة الضمنية بين أبواب المدينة وأبواب الجنة تمثل إحالة وظيفية ملفتة: فالمدينة تملك إمكانية الخلاص، كما الجنة تملك وعد النجاة. لكنها خلاص مشروط بشيء من الانفتاح والكرم الوجودي، إذ "كل باب يحقق أمنية للغريب". "ف"الغريب" في شعر المقال هو رمز للذات المنفية، للوعي الحائر، وللمواطن الذي تحوّل إلى طائر في بلاده. هكذا تصبح أبواب التراث – التي تمثلها صنعا – مجالاً لإعادة إنتاج الذات لا لتثبيتها في ماضٍ مغلق. وهكذا يعمل الشاعر على إعادة تأويل الرمز التراثي ليقدم حاجة معاصرة تتصل بالهوية والملاذ والمعنى. فالتراث في هذا الاشتغال داخل في سؤال الحاضر، فيغدو أداة وعي نقدي يوازن بين الجذور والتطلع، ويمنح المعاصرة عمقاً يستمد حيويته من الذاكرة دون أن يتوقف عندها.

2،4: المستوى الثاني: البعد الأدبي

يتعامل عبد العزيز المقال مع التراث الأدبي بوصفه مادة فاعلة في بناء التجربة الشعرية، مندمجة في البنية النصية، وقادرة على إنتاج دلالات جديدة في ضوء تحولات الواقع المعاصر. فالنص التراثي عنده يدخل في فضاء القصيدة ضمن علاقة تفاعل مستمرة مع تحديات الحاضر، حيث يُعاد تشكيله داخل خطاب شعري يسعى إلى مساءلة التحولات الثقافية، والكشف عن انكسارات الوعي الجمعي، من خلال منظور ذاتي مشحون بالقلق والاغتراب. ويبرز هذا الاشتغال بوضوح في استحضار المقال لشخصية ابن زريق البغدادي، التي تُدمج في التجربة الشعرية بوصفها صوتاً موازياً للذات المعاصرة. ومن خلال هذا التداخل، تتحول تجربة ابن زريق إلى نسق دلالي يعكس توتر الشاعر الوجودي، ويكشف عن استمرارية المعاناة الإنسانية عبر الزمن، بما يمنح النص بعداً تاريخياً متداخلاً مع بعده الإنساني، ويجعل من التراث أداة فاعلة في إنتاج الرؤية الشعرية.

نائٍ تغرب في الأيام زورقه وتاه في ظلمات الأرض مشرعه
تغربت في نواه كل نافذةٍ من خلفها الوطن الدامي يروّعه
ما ليلة من بنات العمر مهدةٌ إلا وتؤلمه الذكرى وتوجعه
ترى يعود إلى أحضان قريته تضمه الغابة الثكلى وترضعه
ينام في عدن في حلم يقظته وينثني على الأشواك مضجعه
ويشتكي "لذمار" همّ رحلته فتتكرا الريح شكواة، وتبلعه (10)

في هذا النموذج الشعري، تظهر شخصية ابن زريق البغدادي ضمن رؤية جمالية تعيد تأويل التراث وتفعيله في سياق معاصر، يهيمن عليه الشعور بالاغتراب والتشظي. فاستدعاء شخصية ابن زريق بوصفه مرجعاً تاريخياً أو نموذجاً فنياً مكتملاً، فإنه يمارس في الوقت نفسه قناعاً شعرياً يعكس عبره المقال تمثلاته للذات المنكسرة، وللمصير المأزوم في راهن تتقاطع فيه خيالات الانتماء مع توترات الهوية.

تتبدى صورة "الزورق" منذ المطلع بوصفها نواة رمزية تتسع دلالتها تدريجيًا. فالزورق كيان هشٌ بطبيعته، تحكمه حركة الماء وتقلباته، وحين "تغرب في الأيام زورقه" تتداخل دلالة البعد المكاني مع الامتداد الزمني، فيغدو التيه ممتدًا في الزمن بقدر امتداده في الجغرافيا. أما "مشرعه" الذي "تاه في ظلمات الأرض" فيُضفي على الصورة بعدًا أكثر كثافة؛ فالمشعر أداة توجيه، وغيابه يعني فقدان القدرة على اختيار المسار. وبهذا تنتقل الغربية من كونها انتقالًا مكانيًا إلى حالة وجودية قوامها فقدان البوصلة.

وتتعمق هذه الرؤية عبر صورة "النافذة"، التي ترتبط في التخيل الشعري عادة بالإشراق والانفتاح، غير أنها هنا تنقلب إلى موضع مواجهة مع "الوطن الدامي". الانقلاب الدلالي يمنح الصورة توترها؛ فالنافذة، بوصفها معبرًا بصريًا، تتحول إلى كاشف للفجوة، والوطن الذي يفترض أن يكون ملاذًا يغدو مصدر رعب. في هذا التحول تتجسد بنية اغتراب داخلي، حيث يتشوه إدراك الذات لعلاقتها بالمكان، ويتحوّل الأفق من وعد إلى جرح مفتوح، ويأتي البيت:

ما ليلة من بنات العمر مهدرّة إلا وتؤله الذكرى وتوجعه

في هذا البيت، تخرج الذكرى من إطار الحنين أو التعزية إلى مجال الألم المتجدد، إذ يُعاد تمثيلها ككائن حي يُمارس فعل الجرح بصورة يومية، فتغدو الذاكرة عبئًا يضاعف الإحساس بالتيه، وطاقمة مستمرة تُعيد فتح الجرح، مما يجعل الماضي جزءًا من الحاضر المؤلم. وفي هذا السياق يتلاقى الذاتي مع الزمني هنا، في جدل يؤسس لتجربة من الانفصال والتشظي، إذ لا الماضي يمنح السكينة، ولا الحاضر يوفر بديلاً يخفف من وطأة الاستعادة. ويبلغ هذا التوتر ذروته في صورة شعرية شديدة الكثافة والدلالة:

ينام في عدن في حلم يقظته وينثني على الأشواق مضجعه

حيث يتقاطع الحلم مع القسوة في صورة واحدة. "حلم اليقظة" يوحى بانقسام داخلي، إذ يعيش الجسد في مكان، بينما يظل الوعي معلقًا في فضاء آخر. أما "الأشواق" فتمثل واقعًا خشناً يحتضن الجسد، فتتجاوز الرغبة في الطمأنينة مع الإحساس بالعذاب، في توازن دقيق بين الصورة الحسية والدلالة النفسية. وتبلغ التجربة ذروتها في المشهد الختامي:

ويشتكي لذارهم رحلته فتذكر الريح شكواه وتبلعه

في هذا المشهد الختامي، تتحول الريح – التي طالما كانت في التقاليد الشعرية العربية وسيطًا للتواصل ووسيلة لبث الأشواق – إلى أداة إنكار ومحو. فهي لا تستجيب، ولا تنقل، بل تبتلع، في دلالة مأساوية على انقطاع الصوت وانهيال فعل القول ذاته. يغدو الكلام غير مُسموع، والشكوى بلا مجيب، مما يجعل اللغة نفسها – آخر ملاذ للذات المغترية – عرضة للتلاشي.

مما سبق، فابن زريق في القصيدة يتحوّل إلى مرآة لذات الشاعر المعاصر، فتندمج التجربتان في بناء شعري تتجاوز فيه الأزمنة وتتفاعل فيه الذوات، بحيث تصبح الغربية هنا أكثر من تجربة فردية؛ إنها بنية شعورية تتأسس على انقطاع التواصل مع المكان، وضياح المعنى في الزمن. فالصورة الشعرية لزورق التيه، والنوافذ المغلقة، والقرية التي ترضعه الألم، ترسخ هذا الشعور بالاستلاب، وتمنح القصيدة طابعًا وجوديًا عميقًا، يُسائل جدوى العودة، ومفهوم الوطن، ومعنى الحنين في زمن لا يستجيب للنداء. بهذه الرؤية، يُفعّل المقالح التراث بوصفه أفقًا تأويليًا، يعيد من خلاله إنتاج الرموز

الشعرية القديمة، ضمن مستوى تعبيرى جديد يجعل من الفنّاع التاريخي أداة لاستكشاف الذات المعاصرة وأسئلتها المأزومة. ويتبدّى البعد المعاصر في هذه التجربة من خلال تجاوز النموذج التراثي نحو صياغة رؤية شعرية تطرح أسئلة الهوية والانتماء والحرية، وتُخضع الماضي لمساءلة الحاضر. وعلى هذا الأساس، تندرج تجربة المقالح في إطار المعاصرة التي لا ترفض التراث، بل تعيد قراءته وفق شروط جمالية وفكرية جديدة، تنفتح على الحاضر من موقع نقدي واعٍ.

وفي قصيدة أخرى يظهر استدعاء من نوع آخر، يستدعي عبد العزيز المقالح شخصية أبي نواس، الشاعر العباسي الذي يمثل رمزاً للتمرد والمجون في الشعر العربي التقليدي. هذا الاستدعاء يسلط الضوء على أزمة الشعر العربي المعاصر وأزمة الهوية الثقافية والمجتمعية. يقول في قصيدة (شكوى إلى أبي نواس):

يا أبا النّوّاس

مات الشعر والكأسُ انكسر

لم يعد في العصر للظمآن ماء

لم يعد في ليلنا الوحش سمر

والسماء..

ما عاد شيء في السماء

يلهمُ الشعر قلوب الشعراء

أجذب الغيمُ،

على آفاقنا جف المطر

.....

والذي يحكم بغداد، ويحتل مقاصير الرشيد

رأسه لا تهضم الشعر وأذناه جليد

كلما أورقت الأشعار

سالت من مزاريب القصيد

ثار مجنوننا.. وألقى تحت أقدام العبيد

برؤوس الشعراء

سقط الحرف غريقاً في الدماء

أصبح الشعر بكاء (11)

هذه القصيدة التي يوجه فيها الشاعر نداءً حزيناً إلى "أبي نواس" هي رثاء للزمن الشعري، وانهيار المعنى، واندثار الجمال. حيث يُستدعى أبو نواس بوصفه شاعر المتعة والجمال والتمرد ليواجه بخراب العصر، وجفاف الروح، وغياب الإلهام. فمنذ الأسطر الأولى، يشيع في النص معجم الفقد والانسداد: "مات الشعر"، "الكأس انكسر"، "لم يعد للظمآن ماء"، وهي صور تؤسس لثنائية مركزية بين الامتلاء والجذب، وبين الماضي الخصيب والحاضر القاحل. فموت هو موت

للدور الرمزي الذي كان يضطلع به في تشكيل الوعي الجمعي، وتغذية المخيلة، ومساءلة الواقع. ومن ثم، فإن انكسار الكأس يحيل إلى تحطم فعل الاحتفال ذاته، أي إلى غياب الفرح والحرية والانفلات من القمع. وتعمق دلالة الجفاف حين ينتقل الشاعر إلى الطبيعة: "أجذب الغيم... جف المطر"، حيث يتماهي القحط الطبيعي مع القحط الروحي والثقافي. فالسماء التي كانت مصدر الإلهام لم تعد "تلهم قلوب الشعراء"، في إشارة إلى انقطاع الصلة بين الشاعر والعالم، وبين اللغة ومصادرها الرمزية. وهنا يتحول الشعر إلى فعل عقيم، فاقد لقدرته على الخلق والتجاوز.

وتصل القصيدة إلى بعدها السياسي الصريح حين تشير إلى "الذي يحكم بغداد، ويحتل مقاصير الرشيد"، في مقارنة تاريخية بين زمن مجيد وواقع مُهين. الحاكم الجديد رأسه "لا تهضم الشعر" وأذناه "جليد"، مما يحيل إلى انفصاله عن الجمال، عن الإبداع، عن الإنسان. إن تمثيل الحاكم هنا لا يكتفي بنقد السلطة، بل يُظهر وحشيتها حين "ألقي تحت أقدام العبيد برؤوس الشعراء"، مشهد يجسد كراهية السلطة للكلمة الحرة، وتعاملها معها بوحشية وقهر. بهذا تتحول القصيدة إلى مرثية للقصيدة ذاتها، ف"سقط الحرف غريقاً في الدماء" بيان شعري بأن زمن الشعر قد انتهى أو أرغم على الانسحاب. كما أن الشعر لم يعد مقاومة ولا احتفالاً، بل "بكاء"، أي حالة استنزاف شعوري عاجز عن الفعل.

وبالتالي، يتبدى في هذه القصيدة تلاقٍ متوتر بين التراث والمعاصرة: إذ يستدعي المقالح شخصية من التراث الشعري، ليُسائلها ضمن سياق معاصر مضطرب، حيث تتحول الوظائف الجمالية إلى وظائف مقاومة، وتصبح العودة إلى التراث وسيلة لكشف الخراب الذي أصاب الواقع. وهذا المزج بين زمنين يعمق الطابع الجدلي في شعر المقالح، فتبرز أزمة الهوية في صورة قلقٍ مستمرٍ إزاء معنى الانتماء وإمكان الاستمرار. ومن ثم يتحول النص إلى مجالٍ لإعادة إنتاج الرمز ضمن سياقٍ يعيد تنظيم العلاقة بين الذاكرة وخراب الحاضر، في إطار رؤيةٍ شعريةٍ تُجسد تفاعل الأصالة والمعاصرة في أبعاده الجمالية والفكرية.

3،4: المستوى الثالث: البعد الديني

يُعدّ الرمز الديني في شعر عبد العزيز المقالح مدخلاً أساسياً لفهم طبيعة اشتغاله على التراث، إذ يتجاوز حدود الاستدعاء الدلالي إلى بناء رؤيةٍ شعريةٍ توظف طاقته التأويلية في مساءلة الواقع والكشف عن أزmate، بما يجعل المرجعية الدينية عنصراً فاعلاً في تجسيد التراث والمعاصرة داخل الخطاب الشعري. ففي استحضار قصة الطوفان، تتجسد شخصية النبي نوح "عليه السلام" بوصفها بنية رمزية دالة، تنطوي على تمثيل شامل لحالة الخراب التي تعم الأرض، وما يرافقها من انهيار قيمي وإنساني، وسفينة تقاوم الغرق وسط سيل الانهيار. إذ تتحول السفينة إلى مجاز شعري للخلاص الممكن، وتتقاطع في بنيتها مع الحلم الجماعي بالخروج من أزمنة الردة والاننيار. بهذا التشكيل، يندمج الرمز القرآني في قلب المأساة المعاصرة، ويمنح القصيدة بعداً كونياً يربط اللحظة الآنية بمصير إنساني أوسع.

قُلْتُ لَكُمْ

من قَبْلِ أَنْ يَثُورَ مَاءُ الْبَحْرِ

قَبْلَ أَنْ تُعْرِبَ الْأَمْوَاجُ

وَقَبْلَ أَنْ يَغِيبَ وَجْهُ الْأَرْضِ

قلتُ الدَّاءَ

والعلاجُ

لم تحفلُوا .. لم تسمَعُوا..

كُنْتُمْ هُنَاكَ فِي الْغُيُومِ

فِي الْأُبْرَاجِ

أَرْجُلُكُمْ مَمْدُودَةٌ كَانَتْ إِلَى السَّحَابِ

رُؤُوسُكُمْ مَغْرُوزَةٌ فِي الْوَحْلِ..

فِي التَّرَابِ

قَرَبْتُ مُشْفِقًا سَفِينَتِي

أَنْفَقْتُ عُمْرِي

أَجْمَعُ الْأَعْوَادَ وَالْأَخْشَابِ

قَطَعْتُ وَجَهَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

أَقْرَأُ فِي الْكِتَابِ

أَشَدُّ مِسْمَارًا إِلَى مِسْمَارِ

لَكِنَّ صَوْتِي ضَاعَ فِي الرِّيحِ

سَفِينَتِي تَاهَتْ بِهَا الْأَمْوَاجُ

فَأَبْجَرْتُ خَالِيَةً..

إِلَّا مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْمَلَّاحِ.

.....

قلتُ لكم والمدُّ لم يزلْ بعيدا

والبحرُ لم يزلْ بعيدا:

أَنْ تَفْتَحُوا عَيُونَكُمْ عَلَى الْخَطَرِ

أَنْ تَجْمَعُوا السَّادَةَ وَالْعَبِيدَا

أَنْ تَصْنَعُوا

مَنْ شَوْقِكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ نَشِيدَا

لِتَصْعِدُوا بِهِ إِلَى الْقَمَرِ

لَكِنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا

تَعَالَتْ الضَّحُكَاتُ

في رُدّهاتِ القاتِ

أَقْعَى الضميرُ في دياركم

ومات (12)

هذه القصيدة تُعد من أبرز النصوص التي تُجسد عمق العلاقة الجدلية بين التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح، إذ يتمّ من خلال توظيف لرمز النبي نوح عليه السلام وسفينته، في سياق معاصر تتداخل فيه الرؤى التحذيرية مع ملامح الانهيار السياسي والأخلاقي.

يفتح الشاعر القصيدة بلغة استباقية إنذارية: "قُلْتُ لكم"، ليؤسس عبر هذا النداء المتكرر بنية خطابية تجمع بين التحذير والثناء، بين النبوءة وخيبة الأمل. وفي هذا السياق، لا يقتصر استدعاء شخصية النبي نوح عليه السلام على التناسل مع قصته القرآنية، بل يفتح النص على مستويات متعددة من القراءة الرمزية. ف"السفينة" التي بناها الشاعر، بعد أن أفنى عمره في "جمع الأخشاب" و"قراءة الكتاب" و"شد المسامير"، هي محاكاة معاصرة لسفينة النجاة، لكنها لا تجد مَنْ يصعد على متنها، ولا مَنْ يستجيب لصوت الناصح. هذا المشهد يحوّل الذات الشاعرة إلى نبوة مغترية، يعلو صوتها في الصحراء، لكن لا أحد يصغي. كما أن السفينة تتقاطع مع مصير الأمة، ويتحول البحر من رمز للخلاص إلى رمز للتيه، حيث "ناهت بها الأمواج"، و"أبحرت خالية إلا من الأحزان والملاح". هذه الصورة الكثيفة لا توحى بالفقد الفردي، بل بالفشل الجماعي، حيث تنقلب النبوءة إلى عزلة، وتتحوّل التجربة الشعرية إلى نوع من الحداد الحضاري.

يُكمل الشاعر نبوءته في المقطع الثاني عبر مفارقة أخرى: "قُلْتُ لكم والمدّ لم يزل بعيداً"، ليبرز أنه قد نبّه مبكراً إلى الخطر الداهم، قبل أن يتحوّل التيار إلى طوفان. غير أن اللامبالاة التي واجه بها الآخرون دعوته تُمثل تكراراً مأساوياً لفكرة العمى السياسي والاجتماعي في الواقع العربي، حيث "تعالت الضحكات في ردهات القات"، و"أقعى الضمير" ثم "مات". هكذا تتشابك الرموز الدينية مع الانهيار الواقعي في النص، في لحظة كثيفة تتداخل فيها الأزمنة، ويغدو الحديث إلى قوم نوح حديثاً إلى الحاضر بكل تناقضاته. وبذلك يتجاوز استحضار قصة نوح حدود التوظيف التراثي إلى تمثيل أزمة هوية معاصرة تتأرجح بين ذاكرة الخلاص وواقع العجز، فيتجسد الطوفان بوصفه استعارةً لانهيار القيم واختلال الوعي الجمعي.

وفي مثال آخر، تتحوّل صورة النبي أيوب عليه السلام إلى استعارة لذات عربية جريحة، تنظر إلى ماضيها المثقل بالخسائر، فلا ترى في امتداده المستقبلي غير المرارة والتخلي. ومن خلال هذا التوظيف الرمزي، يضع المقالح يد القارئ على جرح تتقاطع فيه التجربة الدينية مع الخلل السياسي والروحي العميق، مما يجعل من استحضار النبي أيوب لحظة شعرية تتجاوز القداسة، لتصير صرخة نقدية تستنطق التاريخ وتفكك بنية الصمت المستقرة في وجدان الأمة. وبهذا التوظيف، يتحوّل الرمز الديني إلى آلية تفكير، ووسيلة للبحث في جذور الانكسار، لتفكيك أسبابه وفتح أفق جديد من المساءلة والتجاوز، في رؤية شعرية تدمج التراث في صلب المعاصرة، بوصفه حافزاً لقراءة أكثر عمقاً للواقع والذات. يقول في قصيدة أيوب المعاصر:

أيوب

على طريقكم مصلوب

أمال رأسه
ألقى به على صدر مهشم منخوب
تجفل منه النظرات
تجفل القلوب
حاول أن يسكب دمعة أمامكم
كي تمنحوه بعض العطف والرثاء
تحسس الجفون
فتش أغوار العيون
محاولاته تحطمت
تبددت هباء
لا دمعة أجدت
ولم تعصر من الجفون ماء
منذ قطعتم ثدي أمه في زمن الرضاعة
دموعه مضاعه
سالت على المهمد مع الحليب
اختلطت مع الدماء
تناثرت في ليله الرهيب
ما عاد صابرا
وليس في وقوفه شجاعة
فالصبر بئرا الغريب
'أيقونة' الجبان .. والصليب (13)

تحمل هذه المقاطع من شعر عبد العزيز المقالح دلالات رمزية متعددة، تتجلى فيها شخصية النبي أيوب بوصفها نموذجاً إشكالياً يُستعاد لا من أجل تمجيد الصبر، بل من أجل مساءلته. في هذا السياق، يغدو أيوب صورة مأزومة للذات العربية المعاصرة، المعلقة بين وجع لا يُحتمل، وصمت لا يُكسر. فالشاعر يستحضر النبي أيوب عليه السلام مصلوباً على طريق الخذلان الجماعي، ينظر إلى قومه فلا يجد في عيونهم دمعة، ولا في ضمائرهم أثراً للحنو أو الاعتراف بالوجع. فتغدو الذات معلقة بين الأرض والسماء، في تمثيل رمزي لحالة الاغتراب بوصفها انقطاعاً عن محيطها. وتتعمق دلالة الاغتراب في مشهد مأساوي للنبي المنفي عن لحظة التراحم، والمقطوع عن ذاكرة الطفولة والحنان الأول، حين يقول "منذ قطعتم ثدي أمه في زمن الرضاعة"، في إشارة موجعة إلى انقطاع الأصل، ومحو الرأفة من أول لحظات التكوين. فدموع أيوب حُكم عليها بالضياح منذ البداية، لتتسرب عبر "المهد مع الحليب"، في صورة شعرية تحتفي

بالتشابك بين الجسد والرمز، بين الحليب والدم، بين الحياة والمأساة. هو جفاف لا يخص العاطفة فحسب، بل يشير إلى تأكل المرجعية القيمية التي تؤسس للهوية الجماعية.

الصبر، الذي لطالما ارتبط بأيوب، ينقلب هنا إلى تهمة، إلى "بئر غريب" لا يحمل الرجاء، بل يغدو "أيقونة الجبان والصليب"، تعبيراً عن خيبة الذات في المعاني الموروثة التي تحولت إلى أدوات تبرير للعجز والخضوع. إنه تفكيك جريء لرمزية الصبر في المخيال الجمعي، حيث لا تُقدّم البطولة بالصمت، بل تُسائل جذورها الأخلاقية والسياسية. وهكذا، لا يعود أيوب في شعر المقالح نبي البلاء فقط، بل نبي التمزق بين الأسطورة والواقع، بين الانتظار والفعل، بين الطقس والرؤية، في انفتاح نقدي يجعل من التراث معبراً لمواجهة الحاضر، لا مهرّباً منه.

ثار، بكى

مشى على طريق النائحين والحواه

مزق ثوب الصبر قال: آه

حاول أن يمتدح الخناجر

.....

حاول أن يرفع كفه مستجدياً براءة الجموع

كان ذراعه مقطوع

وأنفه مجدوع

أعاد رأسه على الصدر المهشم الجريح

رمى بعينه إلى التراب

ودّع في مرارة عالمه القبيح

أطلق روحه أنقذها من دنس الكلاب

عاش بلا صبر

ومات في العذاب (14)

في هذا المقطع الشعري، يواصل عبد العزيز المقالح إعادة تشكيل صورة النبي أيوب، لكن بلغة تمرد لا تقف عند حدود التذكير بالابتلاء، بل تتعداها إلى تصوير الانفجار الداخلي بعد استنفاد طاقة الاحتمال. فالفعل الأول "ثار" يفتح النص بصدمة ضد الصورة النمطية الرمزية لأيوب (عليه السلام) للصبر المطلق، ليقدمه المقالح بوصفه إنساناً بلغ أقصى درجات الانكسار، فاختر الثورة والانتخاب بدلاً من الصمت. يتبع هذا الفعل انحدار داخلي، حيث "بكى، مشى على طريق النائحين"، في إشارة إلى التحام الذات الجريحة بجماعة المنكسرين والمنبوذين في المجتمع، مما يعمق البعد الجمعي في التجربة.

التوتر بين الصبر والثورة يتصاعد حين "مزق ثوب الصبر وقال: آه"، وهي لحظة شعرية تختزل تفجراً وجودياً يعلن فشل الصبر كموقف وجودي وجمالي، ويؤكد أن التحمل لم يعد مجدياً. فالشاعر يقدم إنساناً فقد أدواته الرمزية

والمادية معاً: "ذراعه مقطوع، أنفه مجدوع" - تجسيد للحصار الشامل الذي يعانيه الجسد العربي في ظل واقع لم يُبق شيئاً صالحاً للكرامة. ومحاولة أيوب أن "يمتدح الخناجر" أو "يرفع كفه مستجدياً براءة الجموع" لا تُقرأ كضعف، بل كتجسيد درامي لحالة من الخذلان، إذ لا يجد سوى الفراغ أمامه: لا خنجر يحميه، ولا جموع تنصفه. وهنا ينكشف مأزق الذات أمام سلطة لا تسمع، وجماعة لا تحتضن، فيتحوّل أيوب إلى مرآة لواقع يمجّد الصمت ويقتل الصارخين. الذروة تأتي مع "ودّع في مرارة عالمه القبيح، أطلق روحه"، حيث يُنهي أيوب رحلته بلا صبر، بل بألم، تاركاً خلفه عالماً ملوثاً بـ"دنس الكلاب"، عبارة تُظهر شراسة الواقع، وانهيار القيم، وانعدام الأمان. الموت، في هذا السياق، فعل خلاص فردي، بعد أن استنفدت الحياة كل طاقتها على الاحتمال.

مما سبق فإن الشاعر عبد العزيز المقالح نجح في دمج التراث مع المعاصرة بفعالية من خلال استخدام الرموز التاريخية والأدبية والدينية، بشكل يتماشى مع القضايا والتحديات المعاصرة. من خلال إعادة تعريف الرموز القديمة، وخلق تواصلًا بين الماضي والحاضر، وقدم رسائل اجتماعية وسياسية تعكس واقع العصر الحالي. هذا الدمج يُبرز قوة الأدب في تقديم رؤى جديدة للتجربة الإنسانية عبر الزمن، ويُظهر كيف يمكن للتراث أن يُثري الفهم العميق للتجارب المعاصرة ويعزز من قدرتها على التعامل مع التحديات الراهنة.

5: الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن جدلية التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح تمثل بنية مركزية في تشكيل خطابه الشعري، إذ أعاد الشاعر توظيف المرجعيات التاريخية والدينية والأدبية ضمن رؤية معاصرة تستجيب لتحولات الواقع العربي. وقد أسهم هذا التفاعل في إنتاج نص شعري يعبر عن تمثيلات الاغتراب وأزمة الهوية بوصفهما معطين وجوديين وثقافيين يتجاوزان البعد الفردي إلى تطلعات إنسانية كبرى. وبذلك تتحدد تجربة المقالح في إطار مشروع شعري يسعى إلى إعادة بناء الهوية عبر استنطاق الذاكرة التراثية ضمن سياق نقدي معاصر. وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها:

- في ختام دراسة "التراث والمعاصرة في شعر عبد العزيز المقالح"، يتجلى بوضوح تمكن الشاعر من بناء جسور حية بين التراث والمعاصرة، عبر استحضار رموز تاريخية وأدبية ودينية أعاد من خلالها قراءة الواقع العربي بلغة شعرية مشحونة بالمعنى والدلالة. لم يكن توظيف المقالح للتراث تكراراً أو اجتراءً، بل ممارسة تأويلية تنبع من وعي نقدي يرى في التراث طاقة متجددة لفهم الحاضر وكشف تناقضاته، ضمن رؤية نقدية واعية بأزمة الذات الجماعية.
- بيّنت النتائج أن استدعاء الشخصيات والرموز التراثية أسهم في تعميق تمثيلات الاغتراب وأزمة الهوية في النص الشعري، إذ تحوّلت هذه الرموز إلى وسائط بنائية تكشف انقسام الذات بين انتماءٍ مثقل بالذاكرة وإحساسٍ حادّ بالعزلة داخل الواقع المعاصر. وتجلّى ذلك في توظيف شخصية النبي نوح عليه السلام بوصفها نموذجاً دلاليّاً للذات الحاملة لرسالة الخلاص، في مقابل مجتمع يرفض الإصغاء، الأمر الذي يعكس صورة المثقف العربي في سياق الإقصاء والتهميش.

- يُقَدِّم المقال نموذجًا مميزًا في الشعر العربي الحديث، يُجسد من خلاله كيف يمكن للرموز الثقافية والدينية أن تنبعث مجددًا في ضوء حاجات الإنسان المعاصر، ومن خلال هذا التفاعل الجدلي بين الماضي والحاضر، ينتج عنه وعيٌ بالهوية بوصفها مشروعًا قيد التشكل. وبهذا تتحدد تجربة المقال ضمن مسار الشعر العربي الحديث بوصفها تجربة تعيد بناء الهوية من خلال مساءلة الذاكرة واستنطاقها في ضوء تحولات العصر.

6: الهوامش والمصادر

1. ينظر: نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، 1993، بيروت: مدخل عام نحن والتراث 19/15
 2. راجع: محمد بنيس، "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب"، مقارنة بنيوية تكوينية، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، 1985 ص 145-147
 3. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1978: 145
 4. جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، ص: 9
 5. راجع: كمال أبو ديب، "جدلية الخفاء والتجلي"، ص 59-62.
 6. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري - العلمية - المجلد 1 - الصفحة 445 - جامع الكتب الإسلامية الطبري، أبو جعفر، 1407 هـ، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري - العلمية، مجلد 1، صفحة 445، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، 1407
- <https://ketabonline.com/ar/books/10764/read?page=436&part=1#p-10764-436-2>
7. ديوان عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، 1986: 333/334
 8. ديوان عبد العزيز المقالح: 334/335
 9. ديوان كتاب صنعاء: 8/7
 10. الديوان: 437
 11. ديوان المقالح: 271/268
 12. الديوان: 34
 13. الديوان 211
 14. الديوان 212

7: المصادر

1. محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993، ص 15-19.
2. محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقارنة بنيوية تكوينية، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1985، ص 145-147.
3. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، ط4، بيروت، 1978، ص 145.
4. جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، (د.ت)، ص 9.

5. أبو ديب، كمال، جدلية الخفاء والتجلي: دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، بيروت، ص 59-62.
6. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ، مج1، ص 445.
7. عبد العزيز المقالح، الديوان، دار العودة، بيروت، 1986، ص 333-334.

مواقع الانترنت:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، 1407هـ، تاريخ الاطلاع: 2026/02/20، الرابط:

<https://ketabonline.com/ar/books/10764/read?page=436&part=1#p-10764-436-2>